

## الفصل الأول

النسخ في اللغة والإصطلاح وقواعده .

مقدمة

النسخ في اللغة .

النسخ عند الصحابة والتابعين (لغة)

النسخ في الإصطلاح .

أ - عند الإمام الطبري .

ب - عند الإمام ابن حزم الظاهري .

ج - عند الإمام ابن القيم .

د - عند الشيخ الزرقاني .

قواعد النسخ

أ - عند الإمام الطبري .

ب - عند الإمام الرازي .

مجمّل قواعد النسخ

طرق معرفة الناسخ والمنسوخ .

ما لا يؤخذ به في معرفة الناسخ والمنسوخ .

الفرق بين النسخ والتخصيص

العموم والخصوص .



## مقدمة

القرآن الكريم هو كتاب الله الدائم الخالد المطلق ؛ الدائم العطاء ؛ الخالد الوجود ؛ المطلق من حدود الزمان والمكان . وهو خطاب الله للعالمين ؛ خاطب الله فيه جميع خلقه ، واختص الله الإنسان بهذا الخطاب ، لأنه الكائن المكلف بالخلافة .

وإذا كان الخلود صفة القرآن الكريم ، وطلاقة الخطاب سمته ، فهذا يعنى أن وظائف كتاب الله العملية ؛ التوجيهية والإصلاحية والتقويمية والإرغائية مستمرة في الوجود وغير معطلة .

وما دام وجود الإنسان مستمرا في هذه الحياة ، وما دامت ظروفه تتغير وتتجدد ، فإن مشاكله تتغير وتتجدد تبعاً لتغير الظروف ، الأمر الذى يستدعى إيجاد حلول تناسب مع مشاكل الظروف المستجدة .

وكتاب الله الخالد يتضمن هذه الإمكانيات : إمكانية العطاء المتجدد مع الظروف والأحوال المستجدة . [أى أن القرآن خالد ، والقضايا الإنسانية المطلوب علاجها خالدة أيضاً من بعض الوجوه . ولا تزال في الإنسانية حالات كفر ونفاق ، وضعف إيمان واستكبار ، وعلل نفسية ، وصور من الولاء والبراء ، والسقوط والنهوض ، والنصر والهزيمة ...] <sup>(١)</sup> والانتكاس الروحي ، والفساد الأخلاقي ، وشیوع الجاهلية .

والسؤال الآن : كيف أباح بعض الناس لأنفسهم أن يعطلوا بعض آيات كتاب الله بسبب القول بالنسخ ؟

كيف يتفق القول بالنسخ مع خلود كتاب الله وطلاقته وتجدد ظروف الإنسان ومشاكله ؟

كيف يمكن مواجهة الظروف والمشاكل المتجددة في حياة الإنسان الممتدة ؟

هل نزل كتاب الله للعرب فقط ؟

هل الجماعة الإسلامية المعاصرة للرسول هي المخصوصة بالإسلام ؟

(١) كيف نتعامل مع القرآن . د . عمر عبيد حسنة ص ٧٧ .

هل انتهت الدعوة الإسلامية بوفاة الرسول ﷺ؟  
وإذا كان الدين قد اكتمل ، كما قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) ، فهل تحقق  
الدين في جميع الناس وفي جميع المجتمعات ، فلم تعد في حاجة إلى الخطاب الإلهي ؟  
ما هي حقيقة النسخ عند القائلين به ؟ وما هي حقيقة النسخ في كتابه الله ؟  
[من قضايا منهجية الفكر الإسلامى التقليدية (...)] والتي لم تُحسم منهجياً بعد ، وما  
زالت تُعتمد رؤية الكثيرين ، تلك هي قضية النسخ في نصوص القرآن الكريم والسنة  
النبوية المطهرة<sup>(١)</sup> .  
هذا البحث ، هو محاولة لإلقاء الضوء على قضية النسخ للتعرف على حقيقتها ،  
واستبيان مشاكلها .

---

(١) أزمة العقل المسلم د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان ص ٨٥ .

## النسخ في اللغة

(نسخ الشيء ينسخها نسخاً، وانتسخة واستنسخه : اكتبه عن معارضة .

النسخ : اكتبك كتاباً عن كتاب ، حرفاً بحرف .

النسخ : إبطال الشيء وإقامة آخر مكانه .

النسخ : تبديل الشيء من الشيء وهو غيره .

النسخ : نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو .

والشيء ينسخ الشيء نسخاً : أي يزيله ويكون مكانه .

والعرب تقول : نسخت الشمس الظل ، وانتسخته : أزالته ، والمعنى أذهبت الظل

وحلت محله . [ (١) ] .

عندما أردنا أن نتعرف على معنى النسخ في اللغة ، وجدنا أن المعجم يستخدم أربعة

معان أخرى للتعريف به : -

أ- النقل ب- التبديل ج- الإبطال د- الإزالة

فإذا أردنا أن نعرف معنى النقل في المعجم ، وجدنا أن : [النقل : تحويل الشيء من

موضع إلى موضع] (٢) .

إذاً ، النسخ هو النقل ، والنقل هو تحويل الشيء من موضع إلى موضع آخر ؛ أي نقل

الشيء (ذاته) من موضعه إلى موضع آخر . وأقصد بنقل (الشيء ذاته) أي عدم تغيير في

ذاته . والموضع الآخر المنقول إليه الشيء ذاته لا يكون مشغولاً بشيء آخر ، وإلا

أصبحت عملية إحلال . أي إحلال الشيء ذاته محل شيء آخر ، مع عدم رعاية أن يكون

لهذا الشيء الآخر المزال ، مكان ما ، أو محل ما .

ففي عملية النقل ، يكون الشيء محتفظاً بذاته ، لم يتغير في ذاته ، ولكن الذي يتغير هو

الموضع أو المكان .

فنحن في عملية نسخ كتاب ما ، لا نقوم بتغيير مادة الكتاب ، ولكن نقوم بنقل هذه

المادة من الكتاب الأصل إلى صفحات جديدة تصبح هي كتاباً منسوخاً ، أي منقولاً عن

الكتاب الأصل .

(١) لسان العرب مادة : نسخ .

(٢) السابق مادة : نقل .

أى أننا قمنا بنقل (الشيء ذاته) من موضعه إلى موضع آخر، ومن هذا المعنى في كتاب الله، قوله تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٨).

أما الإبدال فالمعجم يقول: [البدل: بدل الشيء: غيره... قال سيبويه إن بدلك زيد، أى بديلك زيد... وأبدلت الشيء بغيره، وبدله الله من الخوف أمناً. والأصل في الإبدال جعلُ شيء مكان شيء آخر] <sup>(١)</sup>.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَارَآءِ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ١٠١) فالأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء، وفي هذه الحالة يكون الموضع الأول أو المحل أو المكان ثابتاً، في حين يتغير الشيء ذاته بشيء آخر. فإذا كان لدينا محل أو مكان مشغولاً بطبق مثلاً، ثم قمنا برفع الطباق، ووضعنا محله كتابياً، فإن التغيير يكون في الشيء ذاته مع ثبوت المحل. والدليل على ذلك في كتاب الله كثير، منه قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (البقرة: ٥٩) أى جاءوا بقول آخر غير الذى جاء من عند الله.

وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ (الأعراف: ٩٥). فالمكان هنا ثابت، والتغيير في الشيء ذاته؛ بأن جعل مكان السيئة الحسنة. وقوله تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (النساء: ٥٦). فالمحل أو المكان هنا ثابت، وهو أجساد الكفار، والذى يتبدل هو الجلد الجديد بدلاً من الجلد الذى نضج. وقوله تعالى ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ ﴾ (سبأ: ١٦).

فالأرض التى بها الجنتان ثابتة ولكن الله بدل نباتها الطيب الطعم بنبات آخر غير طيب.

وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبَدِّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ١٠٨).

(١) السابق مادة: بدل.

والكفر والإيمان محلها القلب ، والقلب ثابت في الإنسان ، ولكن الذى يتغير هو الإيمان .

والفرق بين النقل والإبدال : أن النقل يكون المقصود فيه هو اختيار مكان جديد للشىء ذاته ، وأما الإبدال ؛ فيكون المقصود فيه هو تغيير الشىء ذاته مع الاحتفاظ بالمكان .

ومن الكلمات التى عُرِّف بها النسخ في المعجم : الإبطال ، إبطال الشىء وإقامة آخر مقامه . وفي لسان العرب :

[بَطَّلَ الشىءُ يَبْطُلُ بَطْلاً وَبُطُولاً وَبُطْلَاناً : ذَهَبَ ضَيَاعاً وَخَسِرَ أَفْهَوْ بِاطِلٌ] <sup>(١)</sup>  
فالإبطال هنا هو الذهاب بلا منفعة والضياع .

ومن الإبطال بمعنى الضياع في كتاب الله ، قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (البقرة : ٢٦٤) [أى إذهب أثرها وإفساد منفعتها] <sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴾ (محمد : ٣٣) ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَتُولَاءِ مُتَبَرِّمًا هُمْ فِيهِ وَنَطِيلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الاعراف : ١٣٩) .

ومن الإبطال بمعنى الذهاب بلا منفعة وبلا جدوى ، قوله تعالى ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾ (الأنفال : ٨) وقوله تعالى ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الشورى : ٢٤) أى ليثبت الله الحق ويمحق الباطل ويمحوه .  
ومن الكلمات التى عُرِّف بها النسخ في المعجم : الإزالة .

ففى لسان العرب [الزوال : الذهاب والإستحالة والإضمحلال زال يزول زوالاً وزويلاً .

وزال الشىء عن مكانه يزول زوالاً ، وأزاله غيره ، وزوّله فانزال ،

وزُلت عن مكانى أزول زوالاً ، وأزلتُ غيرى إزالة .

وعن ابن الأعرابى : الزَّوْلُ : الحركة ، يقال : رأيتُ شبحاً ثم زال ، أى تحرك .

(١) السابق مادة : بطل .

(٢) فتح القدير ج ١ ص ٢٨٥ .

وزال القوم عن مكانهم ، إذا حاصوا عنه وتنحوا .  
يقال : استحل هذا الشخص واسترله : أى أنظر هل يحول ، أى يتحرك أو يزول ، أى يفارق موضعه .

الزَّوَالُ : الذى يتحرك فى مشيه كثيراً ، وما يقطعه من المسافة قليل .  
والزَّوَالُ : زوال الشمس . وزالت الشمس زوالاً وزيالاً وزولاناً : زالت عن كبد السماء .

الزائلة : كل شىء من الحيوان يزول عن مكانه ولا يستقر فى مكانه .  
وفى قصيدة كعب

فى فتيه من قريش قال قائلهم      ببطن مكة لما أسلموا : زولوا  
أى انتقلوا عن مكة مهاجرين إلى المدينة [ (١) ] .

مما سبق ، نجد أن الزوال : هو تحريك الشىء عن مكانه ؛ أى تركه للمكان الذى كان فيه واستقراره فى مكان آخر . وعلينا أن ننتبه إلى أن زوال الشىء لا يعنى فناؤه أو إعدامه ، وإنما انتقاله من مكانه الأول إلى مكان آخر مع احتفاظه بذاته .

فمثلاً : جملة (زُلْتُ عن مكانى) تعنى أنى تحركت تاركاً مكانى الأول منتقلاً إلى مكان آخر ، مع احتفاظى بذاتى ووجودى .

وجملة (زالت الشمس) أى تحركت ، فانتقلت من موضعها فى كبد السماء إلى موضع آخر ، مع إحتفاظ الشمس بوجودها .

فالنسخ بمعنى الإزالة هو انتقال أو تحريك الشىء من مكان إلى مكان ويظل الشىء محتفظاً بذاته .

فيجب أن نفهم الإزالة هنا على أنها بمعنى (الإزاحة) ؛ أى تحريك أو تحرك الشىء من مكانه إلى مكان آخر .

فإذا قيل أن العرب تقول : (نسخت الشمسُ الظلَّ ، أى أزالته) فيجب أن نفهم الإزالة هنا بمعنى الإزاحة عن المكان .

لأن الشمس لا تنسخ الظلَّ بمعنى : أعدمته وجوده ، ولكنها تزيح الظل لتحل محله ، فتكون عملية النسخ هى تغيير الأشياء مع بقاء المكان .

(١) لسان العرب مادة : زوال .

والله - سبحانه - يقول ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (الفرقان : ٤٥) فمد الظل هو حركته ، والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ ، وهذا يدل على أن العلاقة بين الشمس والظل هي علاقة إزاحة ؛ أي علاقة حركة ، وليست علاقة إعدام الشمس للظل .

ومن معاني الإزالة في كتاب الله ، قوله تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ (البقرة : ٣٦) . من الواضح أن (أزلها) هنا تعنى الحركة ، ولكنها الحركة من الأعلى إلى الأسفل ، حيث الأعلى يمثل المقام الكريم ، في حين أن الأسفل هو مقام الشقاء .

والدليل على أن (أزلها) تعنى إنتقالها من هذا المكان إلى مكان آخر ، هو كلمة (فأخرجها) وكلمة (اهبطوا) .

فآدم وحواء أخرجا من الجنة ؛ أى تركوا المكان وانتقلوا إلى مكان آخر مع احتفاظهما بذاتهما ؛ فهما لم يُعدما أو يفنيا .

وقد فسر ( نعلب ) قوله تعالى ( فأزلها الشيطان ) قال : [معناه : نحأهما عن موضعها] <sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم : ٤٤) ، [أى : أو لم تكونوا أقسمتم من قبل هذا اليوم مالكم من زوال من دار الدنيا] <sup>(٢)</sup> أى الإنتقال من الدنيا إلى الآخرة .

وقوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّرْوَلِ مِنهُ الْجِبَالُ ﴾ (إبراهيم : ٤٦) قال الزجاج [وإن كان مكرهم يبلغ من الكيد إلى إزالة الجبال] <sup>(٣)</sup> .

(١) السابق .

(٢) فتح القدير ح ٣ ص ١١٦ .

(٣) السابق .

وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ (النحل: ٩٤) ، [لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر] <sup>(١)</sup> فزله القدم : تحركها ، وهذا واضح من كلمة (بعد ثبوتها) .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۗ ﴾ (فاطر: ٤١) .

[قال الزجاج : المعنى أن الله يمنع السموات والأرض من أن تزولا ... قال الفراء : أى ، ولوزالتا ما أمسكهما من أحد] <sup>(٢)</sup> .

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن الزوال هو الحركة والانتقال من مكان إلى مكان آخر مع احتفاظ الشيء المزال بوجوده الذاتى .

والآن ، سنقوم بتلخيص المعانى الأربعة للنسخ التى وردت فى معجم لسان العرب ، ثم نقوم بالبحث عن الآية القرآنية التى وردت فيها كلمة النسخ بنفس المعنى الذى أورده لسان العرب . وقد وردت كلمة النسخ فى أربع آيات فقط ، هى :

١ - قوله تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٦) .

٢ - قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَحَدَ الْأَلْوَابِ ۖ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٤) .

٣ - قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ۖ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج: ٥٢) .

٤ - قوله تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٨) .

(١) السابق حـ ٣ صـ ١٩١ .

(٢) السابق حـ ٤ صـ ٣٥٥ .

بدايةً ، فإن الآية الأولى (البقرة - ١٠٦) هي الآية الغامضة والتي يتخذها القائلون بالنسخ حجة لهم في دعواهم ، والتي هي مشكلة هذا البحث ، لذلك ، سوف نؤجل بحثها الآن .

ومعاني النسخ التي وردت في لسان العرب هي :

١ - النسخ بمعنى النقل . والنقل هو تحويل الشيء من موضع إلى موضع آخر ، مع احتفاظ الشيء المنقول بذاته وعدم تغييره . وما يدل على هذا المعنى في كتاب الله ، قوله تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية : ٢٨) . وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٤) .

٢ - النسخ بمعنى البدل . والأصل في الإبدال ، جعل شيء مكان شيء آخر ، والمقصود منه إبدال شيء جديد بدلا من شيء قديم في نفس مكان القديم وما يدل على هذا المعنى في كتاب الله ، قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَارًا آيَةً ﴾ (النحل : ١٠١) .  
فالتبديل هنا : للآيات ، والمكان ثابت ، وكذلك قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّبْعَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (الأعراف : ٩٥) ، فالمكان ثابت ، ولكن وضعت الحسنة فيه بدلا من السيئة .

ولكن ، ما هي الآية التي وردت فيها كلمة النسخ بمعنى الإبدال ؟  
لم يتبق من الآيات الأربع التي وردت فيها كلمة النسخ ، إلا قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج : ٥٢) .

فما معنى النسخ في هذه الآية ؟

إن معنى النسخ في هذه الآية غامض أيضاً ، ولكنه ليس معناه : النقل .  
فهل يكون معناه : الإبطال ؟ أم الإبدال ، أم الإزالة . ؟  
في فتح القدير [معنى تمنى : تشهى وهياً في نفسه ما يهواه ... وقيل معنى تمنى : قرأ وتلا] <sup>(١)</sup> .

وفي لسان العرب [التمنى : حديث النفس بما يكون وما لا يكون .

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

والتمنى : تشهَى حصول الأمر المرغوب فيه ... وتمنى الشيء ، أى قدّرته وأحببت أن يصير إلى . وتمنى الشيء : أراده<sup>(١)</sup> .

وأنا استبعد المعنى الذى يقول أن (تمنى) بمعنى قرأ وتلا ، لأن التمنى حركة نفسية تحدث داخل النفس ، وهو كما رأينا : حديث النفس بما تحب وتهوى وتشتهى ، إذأ ، فالأمانى معانى نفسية تتحرك داخل النفس ، وهى ليست مستقرة ، إنما هى تتردد داخل النفس . إذأ ، فإن نسخها لا يكون بمعنى الإبدال لأن الإبدال يكون لشيئين محددين قائمين ، ويكون المبدل له رغبة وإرادة فى تغيير شىء موجود فى مكان ، بشىء آخر فى نفس المكان .

ولكن التمنيات ، هى معان هائمة فى نفس التمنى ، ولم تتحدد ولم تستقر فلا يصح معها البديل ، لأنه غير ظاهر فى الآية أن الله أتى ببدل ، بدلاً عما يلقيه الشيطان . إذأ ، يتبقى لنا معنيان للنسخ فى هذه الآية ، هما الإبطال والإزالة ، فهل النسخ فى هذه الآية بمعنى الإبطال أم بمعنى الإزالة ؟

يوجد فى الآية كلمتان يمكن بهما أن نصل إلى المعنى المطلوب وهما (الشيطان) و(يحكم الله آياته) . فالمعروف أن كل عمل الشيطان باطل وخاسر وزاهق .

بل إن فى لسان العرب ، [فى تفسير قوله تعالى (وما يبدئ الباطل وما يعيد) ، قال : الباطل هنا إبليس ، أراد ذو الباطل أو صاحب الباطل]<sup>(٢)</sup> .

والباطل فى لسان العرب ، بمعنى الخسران والضياع والذهاب بلا جدوى ولا فائدة ولا عمل له ، ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ (يونس : ٨١) ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٣٩) [(متبرمهم فيه) التبار : الهلاك . وكل إناء منكسر فهو متبر : أى أن هؤلاء هالك ما هم فيه ، مدمر مكسر ... وباطل ما كانوا يعملون] أى ذاهب مضمحل جميع ما كانوا يعملون]<sup>(٣)</sup> . وقوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ

(١) لسان العرب ، مادة : منى .

(٢) السابق مادة : بطل .

(٣) فتح القدير ج ٢ ص ٢٤١ .

وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَنَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (هود: ١٦) . وقوله ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ  
 وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) ، وقوله تعالى ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ  
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨) .

[فيدمغه : أى يعلوه ويغلبه ويبطله . قال الأزهرى : فيدمغه ، فيذهب به ذهاب  
 الصغار والذل] <sup>(١)</sup> .

ومن استعراض الآيات السابقة ، نجد أن كلمة الباطل تأتي مصحوبة بكلمات مثل :  
 زاهق - يمحو - يدمغه - حبط - متبر ، وكلها كلمات تدل على الهلاك والخسران والضياع  
 والمحو والإضمحلال والزهوق .

وفي لسان العرب [زهق الشيء يزهب زهوقاً فهو زاهق وزهوق : بَطَلٌ وهلك  
 واضمحل .. وفي قوله تعالى (فإذا هو زاهق) أى : باطل ذاهب . وقال قتاده : وزهق  
 الباطل ، يعنى الشيطان] <sup>(٢)</sup> .

وحيث أننا قلنا من قبل ، أن الأمنيات أو التمنيات هى معان هائمة فى نفس المتمنى  
 وغير مستقرة ، بل إنها تتردد داخل صدره ، أى أنها متحركة إذاً ، فلا يصح معها النسخ  
 بمعنى الإزالة ؛ لأن الإزالة كما رأينا هى إزاحة الشيء من مكانه إلى مكان آخر ، وإحلال  
 شىء آخر مكانه . وبما أن هذا التمنى من إلقاء الشيطان إذاً ، فهو باطل ، فلا يصح مجرد  
 إزاحته داخل النفس ، لأن إزاحته داخل النفس لا يمحقه ولا يمحوه ولا يزهبه . كما قلنا  
 أن النسخ بمعنى الإزالة هو تحريك الشيء من مكانه إلى آخر ، وحيث أن صدر الرسول  
 أو النبى هو نفس المكان ، إذاً فلا يصح فى هذه الآية إلا النسخ بمعنى الإبطل ؛ أى المحو  
 والضياع والذهاب والخسران والإزهاق .

وبعد أن يزهب الله الباطل ويمحقه ويمحوه من صدر الرسول أو النبى ، يحكم الله  
 آياته . فمحو الباطل وإزهاقه ، هى عملية تطهير لصدر الرسول أو النبى من وساوس  
 الشيطان ، ثم يحكم الله آياته .

(١) لسان العرب مادة : دمع .

(٢) السابق مادة : زهق .

إِذَا ، النسخ في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج : ٥٢) يكون بمعنى الإبطال ؛ أى المحو والضياع والخسران والإزهاق والهلاك .

وبعد ، فقد رأينا في لغة العرب ، أن النسخ بمعنى النقل يتفق مع النسخ المذكور في الآيتين (الأعراف : ١٥٤ ، الجاثية : ٢٨) . وأن النسخ بمعنى الإبطال يتفق مع معناه في الآية (الحج : ٥٢) . ويتبقى من معانى النسخ في لغة العرب : النسخ بمعنى الإبدال ، والنسخ بمعنى الإزالة . ويتبقى من الآيات الأربع التى ذكر فيها النسخ ، آية واحدة هى الآية (البقرة : ١٠٦) .

فهل سيتفق النسخ المذكور في هذه الآية مع المعنيين المتبقين أو مع أحدهما ؟ هذا ما سنحاول أن نتعرف عليه عند التعرض لتفسير الآية .

### النسخ عند الصحابة والتابعين (لغة)

أورد الإمام الطبرى في تفسيره بضعة أحاديث عن الصحابة والتابعين في معنى النسخ، وهى لا تخرج عن الأحاديث الثلاثة الآتية :

[١٧٤٩ - عن السدى (ما ننسخ من آية) ، أما نسخها ، فقبضها .

١٧٥٠ - عن ابن عباس ، فى قوله (ما ننسخ من آية) يقول : ما نبدل من آية .

١٧٥١ - عن أصحاب عبد الله بن مسعود أنهم قالوا : (ما ننسخ من آية) نثبت خطها ، ونبدل حكمها<sup>(١)</sup> .

ففى الحديث الأول ، النسخ هو القبض ، والقبض هو الإمساك ، فإذا أضفنا هذا الحديث إلى الآية ، وقلنا (ما ننسخ من آية) أى (ما نقبض من آية ، أو ما نمسك من آية أو ننسها) . فنجد أن هذا المعنى بعيد جداً عن سياق الآية ، سواء كان الإنشاء فى الآية بمعنى النسيان أو بمعنى الترك .

وفى الحديث الثانى ، يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - أن معنى النسخ هو الإبدال ، فيكون معنى الآية (ما نبدل من آية) .

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ٦٩٥ .

وفي الحديث الثالث ، عن أصحاب عبد الله بن مسعود ، أن النسخ بمعنى إثبات خطها (كتابتها) وإبدال حكمها .

وعلينا أن نلاحظ هنا أن ابن عباس لم يذكر كلمة (حكم) ، فلم يقل (ما تبدل من حكم آية) ولكن قال : (ما تبدل من آية) . في حين أن أصحاب عبد الله بن مسعود ، هم أول من أضافوا كلمة (حكم) إلى معنى النسخ .  
كما علينا أن نلاحظ أيضاً ، أن هذه المعانى للنسخ ، هي آراء شخصية تعبر عما فهمه كل شخص .

### النسخ في الإصطلاح

#### أ- النسخ عند الإمام ابن جرير الطبرى :

يقول الإمام الطبرى : [يعنى جل ثناؤه (ما ننسخ من آية) ما ننقل من حكم آية ، إلى غيره ، فنبدله ونغيره . وذلك بأن يُحوّل الحلال حراماً ، والحرام حلالاً ، والمباح محظوراً ، والمحظور مباحاً . ولا يكون ذلك إلا فى الأمر والنهى ، والحظر والإطلاق ، والمنع والإباحة ، فأما الأخبار ، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ] <sup>(١)</sup> .

وعلينا أن نلاحظ الملاحظ الآتية : -

- ١- أن النسخ عند الإمام الطبرى هو النقل .
- ٢- أنه أضاف كلمة (حكم) فقال (ما ننقل من حكم آية) ، ولم يقل : (ما ننقل من آية) .
- ٣- أنه وضع قواعد للنسخ ، فقال [ولا يكون ذلك (أى النسخ) إلا فى الأمر والنهى ، والحظر والإطلاق ، والمنع والإباحة فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ] .  
وهذا ما سنجدّه متوارثاً عند الفقهاء بعد ذلك ، عندما يضعون قواعد النسخ وضوابطه .

إذاً ، فأول من وضع كلمة (حكم) فى قضية النسخ هم أصحاب عبد الله بن مسعود ، ثم قام الإمام الطبرى بعمل خليط من مفهوم أصحاب بن مسعود ومفهوم ابن عباس - حيث أن الإمام الطبرى من عادته الأخذ بجميع الآراء - فقال : (ما ننسخ من آية) أى : ما ننقل من حكم آية ، إلى غيره فنبدله ونغيره .

(١) السابق ص ٦٩٥ .

والسؤال ، كيف يتم نقل حكم آية إلى حكم غيره ، لكى يتم التبديل والتغيير ؟ إذا كانت الآية تحمل حكمها في مفرداتها ، فكيف يتم التبديل والتغيير ، إذا كان المنقول هو هو؟! .

فالإمام الطبرى يقول [معنى نسخ الحكم إلى غيره ، إنما هو تحويله ونقل عبارته عنه إلى غيرها] <sup>(١)</sup> . فالنسخ هو نقل وتحويل الحكم بنقل عبارته عنه إلى غيرها .

فإذا كانت العبارة تحمل الحكم ، وأنه سيتم نقل العبارة بحكمها إلى غيرها ، فما الفائدة من هذه العملية ؟

يقول الإمام الطبرى [إذا كان ذلك معنى نسخ الآية ، فسواء إذا نسخ حكمها ، فُعَيَّرَ وبُذِلَ فرضها ، وأقر خطها فترك ، أو عُيَّ أثرها فُعُيِّ ونُس ، فهي في كلتا حالتها منسوخة] <sup>(٢)</sup> .

ويبدو - على ما أرى - أن النسخ عند الإمام الطبرى ، نهايته هو الإبطال : فسواء نُسخ حكمها وأقر خطها (أى نسخ الحكم دون التلاوة) أو نسخ حكمها وعي أثرها (أى نسخ الحكم والتلاوة معاً) فهي في كلتي حالتها منسوخة ، أى لا يعمل بها ، أى معطلة ، وهذا هو الإبطال .

وقبل أن نتقل عن الإمام الطبرى ، علينا أن نؤكد هذه الملاحظات :

١ - أنه أول من أدخل كلمة (حكم) في قضية النسخ ، إذ أن الآية تقول (ما ننسخ من آية ، وهو يفسرها (ما ننقل من حكم آية) <sup>(٣)</sup> .

٢ - أنه أول من وضع قواعد النسخ ، فقال [ولا يكون ذلك إلا فى الأمر والنهى ، والحظر والإطلاق ، والمنع والإباحة ، فأما الأخبار ، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ .

٣ - انه أول من صنف أنواع النسخ ، بما يعرف (نسخ الحكم دون التلاوة) و (نسخ الحكم والتلاوة معاً) .

(١) السابق .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

## ب - النسخ عند الإمام ابن حزم الظاهري

يقول الإمام ابن حزم : [حدُّ النسخ أنه بيان انتهاء زمان الأمر الأول فيما لا يتكرر .  
وأما ما علّق بوقت ما ، فإذا خرج ذلك الوقت ، أو أدّى ذلك الفعل ، سقط الأمر  
به، فليس هذا نسخاً ، فلو كان هذا نسخاً ، لكانت الصلاة منسوخة إذا خرج وقتها ،  
والصيام منسوخاً بالإحراج والحيض ..] <sup>(١)</sup> .

فإذا كان هناك نسخ ، فإنه عند الإمام ابن حزم يكون فيما لا تتكرر ظروفه وأحواله .  
وأما إذا كان الأمر معلقاً برقت أو بغاية ، وتم خروج ذلك الوقت ، أو تم الوصول إلى  
الغاية ، فإن ذلك لا يكون نسخاً . وأن النسخ بيان .

يقول ابن حزم : [وقد قال بعض من تقدم : إن النسخ هو تأخير البيان نفسه ...  
والنسخ على ما فسرناه قبل ، نوع من أنواع تأخير البيان ، ينقسم إلى قسمين :  
أحدهما : جماعة غير مفهومة المراد بذاتها ، مثل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا  
الزكاة) ، فإذا جاء وقت تكليف ذلك ، بيّن لنا الحكم المراد منا في ذلك اللفظ المجمل بلفظ  
آخر مفسّر .

والقسم الثاني : عمل مأمور به وقت ما ، وقد سبق في علم الله - عز وجل - أنه  
سيحيلنا عنه إلى غيره آخر ، فإذا جاء ذلك الوقت ، بيّن لنا تعالى ما كان مستوراً عنا من  
النقل عن ذلك العمل إلى غيره ، وبالجمله فإن إسم البيان يعم جميع أحكام الشريعة كلها ،  
لأنها كلها ، إعلام من الله تعالى لنا ، وبيان المراد منا] <sup>(٢)</sup> .

فالقسم الأول من النسخ على أنه تأخير البيان ، هو أن تكون هناك آية مجملة ، أو  
حكمها مطلقاً ، مثل آية (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فإنها آية مجملة ، وحكمها حكم  
مطلق . فإذا جاءت آية أخرى تحدد كيفية القيام بهذا التكليف ، فإن هذا لا يكون نسخاً ،  
وإنما يكون بياناً .

(١) الإحكام في الأحكام - ابن حزم الظاهري . ج ١ ص ٣٤٤ دار الفكر - بيروت .

(٢) السابق ص ٣٤٥ .

والقسم الثانى من النسخ على أنه تأخير البيان ، هو أن الله إذا كلفنا بعمل فى وقت ما ، ثم أحوالنا بعد ذلك إلى عمل آخر ، فإن هذا لا يكون نسخاً ، وإنما هو تدرج فى التعليم وفى التكليف . [فالنسخ نوع من أنواع البيان ، فكل نسخ بيان ، وليس كل بيان نسخ] <sup>(١)</sup> .

### أنواع النسخ عند ابن حزم

يقول الإمام ابن حزم [الأوامر نسخها وإثباتها تنقسم أقساماً أربعة لا خامس لها ، فقسم ثبت لفظه وحكمه ، وقسم ارتفع حكمه ولفظه ، وقسم ارتفع لفظه وبقى حكمه ، وقسم ارتفع حكمه وبقى لفظه . ففى هذه الأقسام الثلاثة الأواخر ، يقع النسخ ، وأما القسم الذى صدرنا به فلا نسخ فيه أصلاً .

وأما القسم الذى ارتفع حكمه ولفظه (أى رفع الحكم التلاوة) ، فمن ذلك حديث عائشة (كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يجرمن) والسورة التى كانت فى طول سورة براءة .

وأما القسم الذى رفع لفظه وبقى حكمه (رفع التلاوة وبقاء الحكم) فأية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) ...

وأما القسم الذى رفع حكمه وبقى لفظه (رفع الحكم دون التلاوة) ، فمثل قوله تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴾ (النساء : ١٥) ، وقوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (البقرة : ١٨٤) وأما الذى ثبت لفظه وحكمه ، فسائر الآيات المحكمات . <sup>(٢)</sup>

وإذا كان النسخ عند الإمام ابن حزم هو نوع من أنواع تأخير البيان ، فإن الأقسام الثلاثة السالفة التى يقع فيها النسخ ، سيكون لها بيان فى كتاب الله ، وذلك أن إسم البيان يعم جميع أحكام الشريعة ، لأنها كلها إعلام من الله تعالى لنا ، وبيان المراد منا ، كما قال <sup>(٣)</sup> . فأما القسم الذى ارتفع حكمه ولفظه (أى رفع الحكم والتلاوة) ، والذى يمثله حديث السيدة عائشة [أنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن ، عشر رضعات معلومات

(١) السابق .

(٢) السابق ص ٣٤٧ .

(٣) السابق ص ٣٤٥ .

يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات<sup>(١)</sup> فكلمة عشر رضعات ليست موجودة في المصحف حتى تُتلى ، ولكن الحكم المطلق أو العام أو المجرم المذكور في كتاب الله ، وهى الآية المذكور فيها تحريم الزواج من الأخوات في الرضاعة .

أما القسم الذى رفع لفظه وبقي حكمه (أى نسخ التلاوة دون حكم) فمثاله ما روى عن عمر بن الخطاب (كان فيما أنزل من القرآن : الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجهما ألبنته) ، فإن كانت هذه الآية أية ، وهى غير موجودة فى القرآن ، فإن حكمها موجود .

على أنى لا أوافق الإمام ابن حزم فى أنه جعل القسم الذى ثبت لفظه وحكمه (وحده) هو سائر الآيات المحكمة ، ومعنى ذلك أن الآيات التى أوردها فى القسم الثالث الذى يقع عليه النسخ مثل قوله تعالى ﴿ فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ ﴾ (النساء : ١٥) ومثل قوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (البقرة : ١٨٤) ليست من الآيات المحكمة .

ونحن نقصد بالإحكام هنا ، الإحكام العام الذى يتصف به كتاب الله ، كما وصفه الله بقوله (كتاب أحكمت آياته) وقوله تعالى (تلك آيات الكتاب الحكيم) .

ولا نقصد بالإحكام ، الوصف الذى ذكره لآيات معينة فى قوله تعالى (منه آيات محكمات هن أم الكتاب) .

وحيث أن كتاب الله كله محكم ، فإن هذه الآيات التى أوردها الإمام ابن حزم هى أيضاً آيات محكمات .

وقبل أن نتقل عن الإمام ابن حزم ، نؤكد هذه الملاحظات :-

١ - أن النسخ هو بيان إنتهاء زمان الأمر (فما لا يتكرر حدوثه) .

٢ - لا نسخ فيما عُلّق بوقت ، أو حُددت له غاية .

٣ - ما يسمى بالنسخ بين الناس ، إنما هو تأخير بيان .

٤ - قسّم أنواع النسخ ، باعتبارها تأخير بيان) إلى ثلاثة أنواع :

أ- ما نسخ حكمه وتلاوته .

ب- ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته .

ج- ما نسخت تلاوته وبقي حكمه .

(١) صحيح مسلم - كتاب الرضاع باب ٦ حديث رقم ٢٤ .

أما القسم الذي ثبت حكمه وتلاوته ، فقد اعتبره من الآيات المحكمات . وهنا نلمح ملمحاً هاماً ، وهو أن الإمام ابن حزم ، تابع التفسيرات التي سبقتة وجعلت المنسوخات من المتشابهات ، وغير المنسوخات أو الناسخات هي الآيات المحكمات .

### النسخ عند الإمام ابن القيم

النسخ كما يراه الإمام ابن القيم عند عامة السلف ، يقول : [مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ : رفع الحكم بجملته تارة ، وهو إصطلاح المتأخرين .

ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة ، إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه ، حتى أنهم يسمون الإستثناء والشرط والصفة نسخاً ، لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد .

فالنسخ عندهم (القسم الثاني من الناس) وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ ، بل بأمر خارج عنه ، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى<sup>(١)</sup> .

### النسخ عند الشيخ الزرقاني

بعد أن استعرضنا مفهوم النسخ عند بعض المفسرين والفقهاء نصل إلى التعريف الذي استخلصه أحد المدافعين المتشددين عن النسخ في العصر الحديث ، وهو الشيخ الزرقاني ، فيقول [النسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي . ومعنى رفع الحكم الشرعي ، قطع تعلقه بأفعال المكلفين ، لا رفعه هو ، فإنه أمر واقع لا يرتفع .

والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير ... والدليل الشرعي هو وحى الله مطلقاً ، متلوا أو غير متلو ، فيشمل الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup> .

فالحكم الشرعي هو أوامر الله ونواهيه التي كلف بها عباده . ورفع الحكم الشرعي ، هو إزالة هذا الحكم وعدم تكليف العبادة به ، مع ثبوت هذا الحكم في النص القرآني كتلاوة فقط . أما الدليل الشرعي الذي به يرفع الحكم الشرعي ويزال ، فهو وحى الله مطلقاً ، باعتبار السنة وحياً .

والزرقاني يحتج بالآية (وما ينطق عن الهوى) باعتبار السنة وحياً .

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم - ج ١ - ص ٣٥ - دار الجيل - بيروت .

(٢) مناهل العرفان - الشيخ الزرقاني - ج ٢ - ص ١٧٦ - دار إحياء الكتب العربية .

فالدليل الشرعى يمكن أن يكون نصاً قرآنياً ، أو حديثاً نبوياً ، فينسخ النص القرآنى الحديث النبوى ، وينسخ الحديث النبوى النص القرآنى فى الأحكام .

ولكن ، هل الحديث النبوى فى نفس درجة النص القرآنى ؟

وما هو الفرق بين النص القرآنى والحديث القدس ؟

يقول ابن حجر عند بيان الفرق بين الوحى المتلو ، وهو القرآن ، والوحى المروى عنه ﷺ عن ربه عز وجل : [إعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى ، أقسام : أولها وأشرفها القرآن ، لتميزه عن البقية بإعجازه ، وكونه معجزة باقية على ممر الدهور ، محفوظه من التغيير والتبديل ، وبحرمة مسه للمخْدِث ، وتلاوته للجنب ، وروايته بالمعنى ، ويتعينه فى الصلاة ، وتسميته قرآناً ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات ... وغيره من بقية الكتب ، والأحاديث القدسية لا يثبت لها شىء من ذلك . والأحاديث القدسية ، وهى ما نقل إلينا آحاداً عنه ﷺ مع إسنادها لها عن ربه ، فهى من كلامه تعالى ، فتضاف إليه وهو الأغلب ، ونسبتها إليه حيثئذ نسبة إنشاء ، لأنه المتكلم به أولاً ، وقد يضاف إلى النبى ﷺ لأنه المخبر بها عن الله تعالى ، بخلاف القرآن ، فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى .

واختلف فى بقية السنة ، هل كل السنة بوحي أو لا ؟

وآية (وما ينطق عن الهوى) تؤيد الأول ، ومن ثم قال ﷺ (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) . ولا تنحصر تلك الأحاديث فى كيفية من كيفية الوحى ، بل - يجوز أن تترل بأى كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم ، والإلقاء فى الروع ، وعلى لسان الملك<sup>(١)</sup> .

وآية (وما ينطق عن الهوى) تنسحب فى الأصل على كتاب الله ؟ على أنه ليس مؤلفاً ولا موضوعاً من قبل الرسول ﷺ بدليل أن الآية بعدها هى (إن هو إلا وحي يوحى) إشارة إلى كتاب الوحى (القرآن) .

وليس معنى ذلك أن رسول الله ﷺ كان ينطق عن الهوى ، ولكنه كان ينطق بفهمه عن كتاب الله ، بفهمه عن الوحى المتلو . فأحاديث الرسول سواء كانت وحياً أو فهماً عن الوحى ، فهى ليست بالوحى المتلو المتعبد به ، ونقصد بذلك أن كتاب الله له خصوصياته التى ينفصل بها عن الأحاديث النبوية بما فيها الأحاديث القدسية ، وأول هذه

(١) عن كتاب الأحاديث القدسية . ص ٦٧ .

الخصوصيات ، هي حفظ الله لهذا الكتاب من الوضع والتحريف والتزييف ، كما قال - سبحانه - (إنا نحن نزلنا الذكر وإنالة لحافظون) . .

في حين أن الأحاديث النبوية بما فيها الأحاديث القدسية ، يمكن أن يحدث فيها الوضع والتحريف والتزييف والكذب على رسول ﷺ ، وهذا مشهور .  
ومن خصوصيات القرآن أن القرآن معجز ، في حين أن الحديث النبوي ليس معجزاً ، وأن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى ، في حين أن الحديث النبوي يكون لفظه من النبي .

إذا ، فالحديث النبوي ، ليس في نفس درجة نص القرآن الكريم .

### قواعد النسخ

أول من نجد عنده قواعد للنسخ هو الإمام الطبري ، إذ أنه أول من أضاف كلمة (حكم) في تفسيره للآية (ما ننسخ من آية) ، فقال (ما ننقل من حكم آية) ، ولم يقل (ما ننقل من آية) .

وقواعد النسخ عند الإمام الطبري ، هي :-

١ - أن يكون المنسوخ (حكماً) فلا يكون النسخ [إلا في الأمر والنهي ، والحظر والإطلاق ، والمنع والإباحة .

٢ - لا نسخ في الأخبار<sup>(١)</sup> .

أما الإمام الرازي فإنه يقول : [إعلم أن النسخ في اصطلاح العلماء عبارة عن طريق شرعي ، يدل على أن الحكم الذي كان ثابتاً بطريق شرعي لا يوجد بعد ذلك مع تراخيه عنه ، على وجه لولاه لكان ثابتاً ، فقولنا طريق شرعي ، نعني به القدر المشترك بين القول الصادر عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ والفعل المنقول عنهما ، ويخرج عنه إجماع الأمة على أحد القولين ، لأن ذلك ليس بطريق شرعي على هذا التفسير ، ولا يلزم أن يكون الشرع ناسخاً لحكم العقل ، لأن العقل ليس طريقاً شرعياً ، ...

ولا يلزم تقييد الحكم بغاية أو شرط أو استثناء ، لأن ذلك غير مترامخ ...<sup>(٢)</sup> .

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ٦٩٤ .

(٢) تفسير الرازي ج ٢ ص ٣١٠ .

ومن الفقرة السابقة ، ونستخلص قواعد النسخ عند الإمام الرازي :-

- ١ - أن يكون الناسخ طريقاً شرعياً (الكتاب والسنة) .
- ٢ - أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً .
- ٣ - أن يكون الناسخ متراخياً عن الحكم المنسوخ .
- ٤ - لا يصح النسخ بإجماع الأمة ، لأن ذلك ليس طريقاً شرعياً ، أى (الكتاب والسنة).

٥ - تقييد الحكم بغاية أو شرط أو استثناء لا يعتبر نسخاً .

٦ - الشرع لا ينسخ حكم العقل ، لأن العقل ليس طريقاً شرعياً .  
وهذا من الاعتزاز المشهور للإمام الرازي بالعقل والانتصار له

### مجممل قواعد النسخ

- ١ - أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً (في الكتاب والسنة)
- ٢ - أن يكون دليل رفع الحكم (أى الناسخ) دليلاً شرعياً (من الكتاب والسنة)
- ٣ - أن يكون الدليل الراجع (الناسخ) متراخياً عن دليل الحكم الأول (المنسوخ) غير متصل به ، فإذا لم يكن متراخياً عن دليل الحكم الأول (المنسوخ) ، فلا نسخ .
- ٤ - أن يكون بين الدليلين (الحكمين الشرعيين) تناقضاً وتعارضاً حقيقياً بحيث لا يمكن الجمع بينها وإعمالها معاً ، فإذا لم يكن هناك تعارض حقيقى بين الدليلين ، فلا نسخ .
- ٥ - ألا يكون الحكم المراد رفعه مقيداً بوقت أو غاية ، وإلا فالحكم ينتهى بانتهاء الوقت أو الغاية ، وهذا لا يعد نسخاً . كما [قال مكى : ما ورد من الخطاب مشعراً بالتوقيت والغاية مثل قوله تعالى .

﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (البقرة: ١٠٩) ، فإنه محكم غير منسوخ ، لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل ، لا نسخ فيه<sup>(١)</sup> .

٦ - أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن .

(١) الإتيان للسيوطى ج ٢ ص ٣٢٧ .

٧- النسخ لا يكون إلا في الأحكام ، أما العقائد والأخبار والوعد والوعيد ، وأمهات الأخلاق وأصول العبادات. فلا نسخ فيها .

٨- [تحريم ما هو مباح بحكم الأصل ، ليس بنسخ عند الأصوليين ، كالخمر والربا ، فإن تحريمها بعد ما كانا على حكم الأصل ، لا يعد نسخاً ، لحكم الأباحة الأصلية .  
ولذلك قالوا في حد النسخ أنه رفع الحكم الشرعي<sup>(١)</sup> بدليل شرعي متأخر ، ومثله رفع براءة الذمة بدليل .

وقد كانوا في الصلاة يكلم بعضهم بعضاً ، إلى أن نزل (وقوموا لله قانتين) .  
وروى أنهم كانوا يلتفتون في الصلاة إلى أن نزل (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، قالوا : وهذا إنما نسخ أمراً كانوا عليه ، وأكثر القرآن على ذلك . معنى هذا أنهم كانوا يفعلون ذلك بحكم الأصل من الأباحة ، فهو مما لا يُعد نسخاً ، وهكذا كل ما أبطله<sup>(٢)</sup> الشرع من أحكام الجاهلية]<sup>(٣)</sup> .

### طرق معرفة الناسخ والمنسوخ

إذا لم يمكن الجمع بين الدليلين الشرعيين ، وكان بينهما تعارض حقيقى لا سبيل إلى تلافيه بإمكان الجمع بينهما ، فلا مناص من اعتبار أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً ، دفعاً للتناقض في كلام الله (كما يقولون) .

ومن طرق معرفة الناسخ والمنسوخ

- ١ - النقل الصريح عن النبي ﷺ بما يفيد أن هذا ناسخ وذاك منسوخ ؟ !
- ٢ - تعيين المتأخر والمتقدم من الدليلين الشرعيين وإجماع الأمة على ذلك<sup>(٤)</sup> .

---

(١) أى والمباح بحكم الأصل والعادة الجارية قبل الشرع لا يعتبر حكماً شرعياً .  
(٢) أى أكثر تشريع القرآن رفع ونقض لما كانوا عليه ، وإن كان أمهلهم مدة وأخذهم بالتدرج في تشريع مابه إصلاح عاداتهم وعبادتهم ، فلا يُعد نسخاً لأنه إنشاء لأحكام لم يسبقها تشريع في موضوعها .

تعليق الشيخ : عبد الله دراز .

(٣) الموافقات ج ٣ ص ١٠٦ .

(٤) مناهل العرفان ج ٢ - ص ٢٠٩ .

## مالا يؤخذ به في معرفة الناسخ والمنسوخ

- ١- أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن<sup>(١)</sup>.
- ٢- [قول الصحابي: هذا ناسخ وذاك منسوخ، فلا ينهض دليلاً على النسخ، لجواز أن يكون الصحابي صادراً في ذلك عن اجتهاد أخطأ فيه.
- ٣- [اجتهاد المجتهد (في قلة: هذا ناسخ وذاك منسوخ) من غير سند لأن اجتهاده ليس بحجة.
- ٤- قول المفسر: هذا ناسخ أو منسوخ من غير دليل.
- ٥- ثبوت أحد النصين قبل الآخر في المصحف، لأن ترتيب المصحف ليس على ترتيب النزول]<sup>(٢)</sup>.

## الفرق بين النسخ والتخصيص

إذا كانوا قد عرفوا النسخ بأنه: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي، فإنهم قد عرفوا التخصيص بأنه: قصر العام على بعض أفراده. ولأنهم وجدوا أن هناك تشابهاً قوياً بين المعرفين؛ إذ أن النسخ فيه ما يشبه تخصيص الحكم ببعض الأزمان، وأن التخصيص فيه ما يشبه رفع الحكم عن بعض الأفراد، لذلك وضعوا بعض الفروق ليميزوا بين النسخ والتخصيص، ومن هذه الفروق:-

أن العام بعد تخصيصه مجاز، لأن مدلوله وقتئذٍ بعض أفراده، مع أن لفظه موضوع للكُلِّ، والقرينة هي المخصص، وكل ما كان كذلك فهو مجاز]<sup>(٣)</sup>.  
وبذلك فإن العام لم يصبح حقيقة، بل أصبح مجازاً بعد تخصيصه، وفي هذا تجميد للنص وتعطيل له.

وكلامه (الشيخ الزرقاني) متناقض في هذا الموضوع، فهو يقول [أما النص المنسوخ (العام) فما زال كما كان مستعملاً فيما وضع له، غايته أن الناسخ دل على إرادة الله

(١) الموافقات ج ٣ ص ١٠٦.

(٢) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢١٠.

(٣) السابق ص ١٨٤.

تعلقت أزلاً باستمرار هذا الحكم (العام المنسوخ) إلى وقت معين ، وإن كان النص المنسوخ متناولاً لجميع الأزمان<sup>(١)</sup> .

فكلامه متناقض ، إذ كيف يكون النص منسوخاً ، أى لا يعمل ، ثم يقول : فما زال كما كان مستعملاً فيها وضع له . ثم يقول أن إرادة الله تعلقت أزلاً باستمرار هذا الحكم إلى وقت معين ، وإن كان النص متناولاً لجميع الأزمان .

ثم يضرب لنا مثلاً فيقول : [يظهر ذلك جلياً فيما إذا قال الشارع مثلاً (إفعلوا كذا أبداً) ثم نسخه بعد زمن قصير ، فإنه لا يعقل أن يكون مدلوله ذلك الزمن القصير دون غيره ، بل هو مازال كما كان مستعملاً في جميع الأزمان (نصاً) بدليل قوله (أبداً) ، غير أن العمل بهذا النص الشامل لجميع الأزمان (لفظاً) قد أبطله الناسخ ، لأن استمرار العمل بالنص مشروط بعدم ورود ناسخ بنسخه ، أي كان ذلك النص وأياً كان ناسخه<sup>(٢)</sup> .

ونقول له : إذا كان الحكيم العليم الذى يعلم في علمه أنه سيحكم بحكم مؤقت ومؤجل ، وبعد زوال الوقت أو الأجل ، فإنه سوف يحكم بحكم آخر فإنه لن يقول في الحكم الأول (إفعلوا كذا أبداً) وإنما سيقول (إفعلوا كذا) وسيكتفى بذلك .

ولكن إذا قال القائل (إفعلوا كذا أبداً) ثم تغير هذا الحكم ويأتى بحكم جديد يحل محله ، فإن هذا ليس من الحكمة ، بل هو ناشئ من عدم الإلمام وعدم الإحاطة بموضوعه ، وإذا علمنا أن الله (بكل شئ محيط) وأن الله (بكل شئ عليم) علمنا أن هذا محال على الله .  
ويقرر الشيخ الزرقانى أن النص المنسوخ ما زال مستعملاً في جميع الأزمان (نصاً ولفظاً) ، ولكن الناسخ أبطله .

وكيف يكون مستعملاً (نصاً ولفظاً) فقط ، إن لم يكن الإستعمال هو التطبيق العملى والفعل للنص . وإذا كان الناسخ أبطله ، فكيف يعمل المنسوخ ؟ !

ويقول في موضوع آخر [فإن سألت سائل : ما حكمة تأييد النص لفظاً ، بينما هو مؤقت في علم الله أزلاً ؟ أجابه بأن حكمته : إبتلاء الله لعباده ، أيخضعوا لحكمه مع تأييده عليهم هذا التأييد الظاهرى أم لا ؟]<sup>(٣)</sup> .

(١) نفسه .

(٢) نفسه ص ١٨٥ .

(٣) نفسه .

فالحكمة في تأييد النص لفظاً ، في حين أنه في الحقيقة مؤقت ، إنما هو إبتلاء الله لعباده . !!

ومن العجائب ، أنه يقول : إن شرط العمل بالنص هو عدم ورود ناسخ ينسخه . وكان قارئ القرآن والمتعلم منه ، والمتدبر فيه ، يكون همه الأول ، هو البحث عن هذا الوهم المسمى بالناسخ ، لكي يتعرف إن كانت الآية معمول بها أم أنها نُسخت !! وبهذا يكون همّ المسلم ، ليس التعبد بكتاب الله والتدبر فيه ، وإنما البحث عن وهم يسمى بالناسخ ، لكي يتأكد أن الآيات التي يريد أن يطبقها في الحياة الواقعية ليست لها ناسخ وبهذا يضع مجهود المسلم وتضيع عبادته .  
ومن العجائب في القول بالنسخ والأخذ به ، ما ذكر في كتاب (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر :

قيل : [ليس من العلوم كلها ، هو واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه ، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً ، والعمل به واجب لازم ديانة . والمنسوخ لا يُعمل به ولا يُنتهى إليه ، فالواجب على كل عالم ، علم ذلك ، لئلاً يوجب على نفسه وعلى عباد الله أمراً لم يوجبه ، أو يضع عنهم فرضاً أوجبه الله] <sup>(١)</sup> .

### العموم والخصوص

وفي تفريقهم بين العام والخاص ، يقول الزرقاني [إعلم أن لفظ الشارع الوارد وجوباً لسؤال أو سبب ، قد يكون مستقلاً أو مفيداً وحده - بقطع النظر عن السبب أو السؤال الوارد فيه - وقد يكون غير مستقل ، بمعنى أنه لا يفيد إلا إذا لوحظ مع السبب أو السؤال .

فأما الجواب الذي ليس بمستقل ، فحكمه أنه يساوي السؤال في عمومته وفي خصوصه أيضاً . فلو قال سائل : هل يجوز الوضوء بئاء البحر ، فأجيب (يجوز) ، كان المعنى أنه يجوز الوضوء بئاء البحر مطلقاً لكل النامس وليس للسائل فقط ، لأن السؤال هنا عن جواز الوضوء بئاء البحر مطلقاً .

(١) جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر - ج ٢ ص ٣٥ .

ولو قال السائل : لقد توضأت بماء البحر ، فهل يصح وضوئي ، وكان الجواب (يصح) ، فيكون الجواب هنا يجزئ السائل فقط وليس كل الناس ، لأنه يسأل عن حالة خاصة به<sup>(١)</sup> .

فاللفظ العام يتناول كل أفراد سببه العام في الحكم ، واللفظ الخاص مقصور على شخص سببه الخاص في الحكم .

أما عموم اللفظ وخصوص السبب ، فمعناه أن يأتي الجواب أعم من السبب ، ومثاله (حادثة قذف هلال بن أمية لزوجته) ، وقد نزل فيها قول الله تعالى (والذين يرمون أزواجهم) فالسبب هنا خاص ، وهو قذف هلال لزوجته ، ولكن الآية النازلة ، لفظها عام ، يشمل جميع (الذين يرمون أزواجهم) .

---

(١) مناهل العرفان ج ٢ ص ١٢٣ .